كل أحد

لو أن شيراك قالها حقاً، لكانت عين الصواب!

شاكر النابلسي

-١-

نَعمْ، وألف نعم، فقد كان العراقُ جهنماً والتحالفُ فتحَ أبوابها ليُخرجَ منها الشياطين الحمرَ والخُضر والزرق والسود والبيض!

لقد فرح إعلام العُربان كثيراً بعبارة الرئيس الفرنسي جاك شيراك التي قالها في قمة ثلاثية في مدريد مع رئيس الحكومة الاسبانية خوسيه لويس رودريغيس ثاباتيرو والمستشار الالماني غيرهارد شرودر إن "فتح بغداد" وإزالة أصنامها التي جاءت بها الجاهلية العربية الجديدة، كان عبارة عن "فتح أبواب جهنم". وقد أصاب الرئيس شيراك في ذلك، علماً أن ترجمة عبارة الرئيس الفرنسي قد لعب بها أو تلاعب بها المترجمين العرب الذين يعملون في وكالة الأنباء الفرنسية كما بين عبد القادر الجنابي في مقاله (إيلاف، ٩/١٤ / ٢٠٠٤) حيث يبدو أن المترجمن من الأعاريب في وكالة الأنباء الفرنسية ليسوا فقط جهلاء باللغة الفرنسية، وإنما أيضا بمعاني الكلمات الدخيلة والشائعة الاستعمال في الفرنسية. ذلك أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك لم يصرح: إننا "فتحنا ابواب جهنم" في العراق، كما جاء في خبر الوكالة الفرنسية المترجم إلى العربية، وإنما قال: "فتحنا صندوق باندورا Boîte de Pandore وهي كلمة تُطلق على كل شيء حسن المظهر، قد يكون مصدراً لمصاعب عظيمة. وكل تلميذ في الابتدائية الفرنسية يعرف بأن كلمة Boîte تعني صندوقاً.

وقام الشاعر والكاتب العراقي عبد القادر الجنابي بعلمه الواسع باللغة الفرنسية وكأبرز شاعر سوريالي في الشعر العربي المعاصر بشرح الخلفية الأسطورية الأغريقية لهذه العبارة، وقال: إن "باندورا" تعني "هدية الجميع" وهي اسم أول امرأة صنعتها الآلهة وأهدتها للبشر، وذلك بأمر من زيوس. وقد أعطاها زيوس صندوقاً مقفلاً ومربوطاً بشريط جميل وأمرها ألا تفتحه، غير أن الفضول استبد بها لتعرف ما في ذلك الصندوق الثقيل ففتحته، فإذا بجميع الشرور تنتفض هاربة من الصندوق، وتنتشر في جميع الأرض، فأسرعت بإقفال الصندوق الذي بقي فيه شيء واحد وهو الأمل.

ومن هنا كان قصد شيراك القول إننا كلنا مسؤولون عن فتح هذا الصندوق الذي خرجت منه كل الشرور، وما علينا إلاّ أن نغلقه جميعاً، فيبقى لنا أمل السلام والقضاء على كل جذور الإرهاب. على عكس ما تعنيه عبارة "أننا فتحنا أبواب جهنم" التي لا يُفهم منها سوى العداء لأمريكا والحنين إلى نظام صدام، الذي يبدو أن هؤلاء المترجمين العُربان في وكالة الأنباء الفرنسية، يحنون إليه، وربما تعمدوا ترجمة خاطئة على هذا النحو، أملا باسقاط ذهنيتهم الدموية على ما يجري في العراق.

-٢-

لقد ارتضيت أنا وأحببت عبارة شيراك التي ترجمت خطأً من قبل أعاريب وكالة الأنباء الفرنسية، وهي أن التحالف (فتح أبواب جهنم في العراق) حقيقة. ولعل مبعث رضاي وسعادتي لعبارة شيراك المترجمة خطأً من قبل العُربان المدسوسين في وكالة الأنباء الفرنسية، يعود إلى الأسباب الآتية:

١. ان العراق منذ عام ١٩٥٨ كان حقاً جهنماً امتلأت بالشياطين الحمر والخُضر والزرق والسود والبيض، وزاد عدد هذه الشياطين في عهد صدام حسين زيادة كبيرة. في حين لا يُعفى النظام الملكي السابق (١٩٢٠-١٩٥٨) من وجود شياطين فيه. وكان فيه جهنم أخرى يقف على بوابتها واقِداها: نوري السعيد والأمير عبد الإله. ولعل هذه الملايين التي هاجرت من العراق الجنة في جميع العهود أي منذ ١٩٢٠ إلى الآن، لم تهجر الجنة إلا عندما تحولت إلى جهنم وجحيم لا يُطاق.

٢. في عهد صدام أصبح لا مكان في العراق للمؤمنين المطهرين من الدينيين والقوميين والماركسيين والليبراليين وغيرهم، حيث سادت شياطين جهنم على الحياة العراقية بكل مناحيها، ولم يعد للمؤمنين المُطهرين غير السجون والمقابر الجماعية والطرد خارج العراق. وأصبح العراق بحق جهنم العرب الذين لم يعرفوها، ولم يعوها، ولم يسمعوا صوت المعذبين فيها إلا بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣، عندما انكشف الغطاء والمسكوت عنه.

٣. والدليل فعلاً على أن العراق أصبح "جهنم العرب" وجحيمهم هو هذه الشياطين الحمراء والخضراء والزرقاء والسوداء والبيضاء التي تملأ الفضاء العراقي، وتلوث مياه دجلة والفرات بالدم البشري، والتي تدفقت من كل أنحاء العالم العربي دفاعاً عن الجحيم الذي كان قائماً قبل التاسع من نيسان ٢٠٠٣ ، وأطفأت شمس العراق بسيول من الدماء البريئة، وأحالت أيام العراق إلى مذابح ومجازر للمدنيين ورجال الشرطة والأمن والخبراء الذين جاءوا من كل أصقاع الأرض لبناء العراق الجديد.

٤ . إن أبواب "جحيم العراق" التي أغلقت على شياطينها في العهد الملكي والعهد الجمهوري القاسمي والتكريتي، وفتحتها قوات التحالف، جعلت كافة شياطين العالم العربي من حمر وخضر وزرق وسود وبيض تتدفق على العراق لإغلاق الجحيم مرة أخرى على شياطينه. فكان القضاء على شياطين "جحيم العراق" بمثابة القضاء على معظم شياطين "جحيم العرب" ككل.

ألم يعلن شياطين العرب بأن أرض العراق الآن هي أرض المعركة الكبرى مع قوى التحالف، ومن يقف إلى جانبها؟

٥- يختلف الجحيم عن جهنم. فالجحيم هو شدة النيران في جهنم لقول القرآن (وإذا الجحيم سُعِرَت) (سورة التكوير، آية ١٢) ولم يذكر الجحيم في القرآن غير ثلاث مرات في (سورة التكوير، والطور، والقارعة). والجحيم سُعِرَت في العراق الآن فعلاً؛ أي اشتدت، واشتدادها دليل قرب خمودها، بعد أن تكون قد أحرقت جميع الشياطين.

وأما جهنم فهي مكان النار الدينية الإسلامية المتقدة والمسعورة (الجحيم) . وجهنم كلمة فارسية غيرعربية. وسميت "جهنم" كذلك لبعد قعرها، وهي مكان النار الدينية عند الله في الآخرة، حيث لا جهنم على الأرض غير جهنم العالم العربي الآن!

على الرغم من أنه لا يوجد جمع لكلمة "جحيم" أو "جهنم" في لغات العالم وفي اللغة العربية كذلك، لعدم وجود أكثر من جحيم واحد في الكون، ولعدم وجود أكثر من جهنم واحدة في السماء أيضاً، إلا أن العرب في العصر الحديث أصبح لديهم أكثر من جحيم وأكثر من جهنم. فأصبح لديهم عدة "جحوم" (جمع جحيم، وهو اجتهاد منا)، وأصبح لديهم عدة أماكن لجهنم الحمراء بفضل عدة عوامل.

فأينما وجدت الديكتاتورية الطاغية كانت هناك جهنم.

وأينما وجدت سيطرة رجال الدين على القرار السياسي والتربوي والتعليمي وحقوق المرأة وإقامة المجتمع المدني كانت هناك جهنم التي وقودها المعارضة والأفكار الليبرالية.

وأينما وجد الحكم الوراثي من الآباء للابناء وتعديل الدساتير من أجل فرد واحد وجدت جهنم، وأينما اعتقل وعذب وطُورد دعاة الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي وجدت جهنم.

وهكذا أقام بعض الحكام العرب "جهنم الأرض" لمواطنيهم، قبل أن يعرف هؤلاء "جهنم السماء".

وهل ما يجري في أنحاء مختلفة من العالم العربي وفي الأنظمة التوتاليتارية إلا جهنم الشبيهة بجهنم صدام الأرضية. وإن العالم العربي بعبارة أخرى عبارة عن جهنم واسعة بانتظار من يفتح أبوابها، ويخرج منها شياطينها، ويقاتلهم، ويقتلهم على غرار ما يحصل في العراق الآن.

٦. إن العالم العربي جهنم بأنظمته السياسية المهترئة، وبمناهج التعليم الدينية الظلامية، وبانتشار الارهاب فيه، وبنهب المال العام، وبتحكم رجال الدين بالسلطة وبأصحاب السلطة الذين لا شرعية لهم. لذا، فهم يطلبون شرعيتهم من رجال الدين لكي يلفقوا لهم الفتاوى، ويؤلفوا لهم الأحاديث النبوية الكاذبة من أجل دعم سلطانهم، ويرددون على مسامعهم الأحاديث النبوية الموضوعة في العهد الأموي من أجل اطاعة المستبدين والمغتصبين للسلطة من أمثال معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد السفاح والتي استفاد منها سفاحو العصر العباسي من أمثال الخليفة أبي العباس عبد الله السفاح والخليفة أبي جعفر المنصور.

لقد أصبح العالم العربي الآن جهنماً فعلية، والدليل الساطع هو هذه الملايين التي هاجرت من العالم العربي، وهجرت هذه الجهنم إلى الغرب من مثقفين وعلماء ومفكرين وفنانين وأكاديميين وعمال.. الخ. وهذه الطوابير الطويلة التي تصطف كل صباح ومنذ ساعات الفجر الأولى على أبواب القنصليات الأوروبية والأمريكية طالبة الهجرة إلى الغرب. ولو فتحت هذه القنصليات أبواب الهجرة على مصراعيها لهاجر كل الناس إلى الغرب، ولما بقي في العالم العربي غير الحكام وعبيدهم.

-٣-

لو كان إعلام العُربان على وعي باللغات وباللغة الديبلوماسية على وجه الخصوص لما فرح فرح الرعناء، ولما تحالى هذا الإعلام تحالي القرعاء بشعر جارتها، كما يقول المثل الشعبي.

فالرئيس شيراك استعمل للمرة الأولى في خطابه المذكور كلمة نحن؛ اي قال: NOUS(نحن) ولم يقل بالفرنسية الديبلوماسية: ON(شخص مجهول) والتي يمكن ان توحي الى شخص مجهول، ولكن المتلقي يفهم منها أنه يعني أمريكا أو قوات التحالف عموماً في هذه الحالة، التي فتحت "أبواب جهنم" كما فهم ذلك إعلام العُربان. فالذهنية العربية –كما قال عبد القادر الجنابي – غير قادرة على الاطلاق التخلص من احتواء الآخر، وصبّه من جديد في نارهم المسعورة. كما أن إعلام العُربان، لا يدرك أن الأوروبي حذر وذكي في استخدام اللغة الدبلوماسية ، مما يستحيل ولأسباب أخرى عديدة ان يقول شيراك: " أبواب الجحيم" حتى ولو أراد شتم أمريكا، لأن عبارة من هذا النوع لا توحي إلا بالقطيعة النهائية بين فرنسا وأمريكا، وهي القطيعة التي بدأت تزول من خلال القرار المشترك عن لبنان، ومطالبة الشرعية الدولية بعدم تعديل الدستور اللبناني(مادة ٤٩) من أجل مصلحة فرد واحد، وهو نتيجة تكاثف الديبلوماسية الفرنسية مع الأمريكية، حيث لا خصومات دائمة ولا صداقات دائمة في السياسة. وستشهد الأيام القادمة مزيداً من هذا التكاثف خاصة بعد اختطاف الصحفيين الفرنسيين ومطالبة الخاطفين (قطّاع الطريق والقراصنة) بخمسة ملايين دولار، واعتبار فرنسا من قبل شياطين "جهنم العراق" دولة عدوة كما قالوا بالأمس.

فالرئيس شيراك، نَعم، وألف نعم، مسيو شيراك، فقد "كان العراق جهنماً والتحالف فتحَ أبوابها" ليُخرجَ منها الشياطين الحمرَ والخُضر والزرق والسود والبيض!

وشكراً للمترجمين العُربان في وكالة الأنباء الفرنسية على هذا الخطأ الصواب!

فكم من خطأ أكثر صواباً ألف مرة من الصواب ذاته!

حضور المرأة العراقية
(تجارب ومؤشِّرات)

د.نادية غازي العزاوي

سيقفز هذا المقال على كل المزاعم السطحية والشعارية المفرغة من مضامينها التي ظلت الألسنة تلوكها طيلة الثلاثين عاماً المنصرمة عن دور (الماجدة) القيادي في المجتمع العراقي، وسينطلق من أساسين:

١. المعايشة الفعلية للعطب والتآكل الذي أصاب واقع المجتمع العراقي وواقع المرأة خاصة.

٢. التركيز على عينة محددة ضمن حركة المجتمع المدني لرصد آثار هذا العطب، وتتكون هذه العينة من ثلاث تجارب نسوية تمتلك الشروط المؤصلة للنمذجة بمعنى أنهن لا يمثلن حالات خاصة أو استثنائية أو معزولة، بل على خلاف ذلك تمثل كل واحدة منهن جيلاً وحقبة تاريخية ووعياً اجتماعياً وفكرياً ومنهجاً سلوكياً خاصاً مختلفاً، يعكس من خلاله المتغيرات العنيفة التي أصابت المجتمع ودرجة الحساسية والاستجابة لتلك المتغيرات، فهن لذلك يصلحن مقياساً لتأشير المنعرجات التي مرت بها الحركة النسوية في العراق بما تحقق لها أولاً من مناخ صحي للنهوض والنمو وبما آلت إليه بعد ذلك من انكسار وتراجع وبما أكتنف ذلك من خسارات وهدر بين الإنجازات الطليعية الرائدة وبين انكفاءات الأجيال الجديدة.

وربما صدق الحال في بعض معطياته على الواقع العربي عامة والأمر غير مقطوع الصلة أيضاً عن حركة العالم وما يجري فيه من صراعات(١)، ولكن المقال سيركز على خصوصية المجتمع العراقي الذي احتجن. بلا فخر. مساحات مترامية من التقيد الإنساني والبطش الدموي.

تتألف العينة من:

١. الجيل الأول: المولودة عام (١٩٢٥): معلمة لم تغادر عملها إلا بإحالتها الى التقاعد لبلوغها السن القانونية وكانت حياتها بحق مسيرة كفاح عصامية في تأسيس كيانها الخاص وفي بناء حياة أسرية ناجحة ومستقرة وفي تميزها المهني.

٢. الجيل الثاني: ابنتها المولودة عام (١٩٥٨) مدرسة تعاودت على تشكيل حياتها عوامل التفتح والإحباط التي أصابت المجتمع في الحقبة الممتدة بين الستينيات والثمانينيات مما جعل مسيرة حياتها تتذبذب بين رؤيتين مختلفتين:

. الثبات على القيم الصحية التي نشأت عليها في الشطر الأول من حياتها، والتي كان المجتمع يتبناها كالإيمان المبدئي بالثقافة، وبجدوى العمل في تأكيد شخصية المرأة واستقلالها، والانفتاح الاجتماعي المتوازن.

. ثم اهتزاز تلك القناعات في مجتمع عاش محرقة الإرهاب السياسي والعسكري التي قتلت فعلياً كل ايمان بدور العلم والثقافة في البناء والتغيير ما دام السلاح يتولى تدمير كل انجاز حضاري ويتكفل بحصد أرواح المثقفين من دون أي احتجاج للأسف فالجميع سواسية وراء السواتر وفي الخنادق.

٣. الجيل الثالث: حفيدتها المولودة عام (١٩٩٢) طالبة ترى في العلم والعمل عبئين ثقيلين يحولان من دون انطلاقتها نحو هدفها الأعلى في الحياة وهو محصور في تحقيق الرفاهية المادية التي تكفل لها الإشباع بأيسر الطرق، ولاغرو في هذه الرؤية المختلة فهي إبنة الحصارات التي كبلت مجتمعنا منذ مطلع التسعينيات، الحصارات التي شكلت على الرغم منا وعلى مرأى ومسمع منا اجيالاً مشوهة من الناشئة من دون أن نمتلك وسائل الردع والمنع، فالحياة نفسها كانت تجري على وفق سياقات عدمية وغير منطقية، لا بل منافية لأبسط متطلبات الكرامة الإنسانية.

وهكذا عاصرت هذه العينة المراحل الثلاث المختلفة في مسيرة المجتمع العراقي الحديث: ١. مرحلة التأسيس والبناء ٢. مرحلة الاهتزاز والتصدع. ٣. مرحلة الانهيار.

لقد نعم الجيل الأول بثمار المرحلة التأسيسية حيث شهدت (المدينة) انتعاش الحركة التجارية وتكون الرأسمال الوطني ثم نمو الطبقة الوسطى المعتدة بنفسها والمؤمنة بالمستقبل والتي (وضعتها الظروف وجهاً لوجه أمام الطبقة الحاكمة الإقطاعية التي فرضتها قوات الاحتلال، وكان الصراع بينهما لا يهدأ إلا ليثور، وقد امتد إلى جميع مظاهر الحياة، وكانت حياة المراة العراقية من أهم ميادين النزاع بين الطبقتين، فبينما كانت الطبقة الإقطاعية تعبر عن مظاهر الترف والنعمة بواسطة الخدم والعبيد الذين يتقدمون موكب الخواتين وهم يحملون الفوانيس كانت الطبقة الجديدة تدعو للسفور ولتعليم المرأة)(٢).

وكانت الرائدات قد مهدن السبيل أمام الحركة النسوية العراقية بإنجازات مبكرة مهمة جداً كانت بمثابة مرتكزات وعوامل دفع تقدمية لها، وهي إنجازات متزامنة إلى حد كبير مما يعكس المد النهضوي الذي كان يسري في المجتمع: ففي سنة ١٩٢٣م أسس أول نادٍ اجتماعي ثقافي للمرأة العراقية باسم (نادي النهضة النسائية) برئاسة (أسماء الزهاوي)، وأصدرت (بولينا حسون) أول مجلة للمرأة باسم (ليلى) سنة ١٩٢٣ أيضاً، وفي أوائل العشرينيات سارت أول تظاهرة نسوية تعبيراً عن المشاركة الفعلية في الحياة السياسية، وفي سنة ١٩٢٦ كانت ثمة مدرسة للبنات باسم (دار المعلمات الابتدائية)(٣)، وأرسلت في السنة الدراسية ١٩٢٦/ ١٩٢٧ أول بعثة رسمية إلى خارج القطر ضمت في عضويتها أول مشاركة للطالبة العراقية في الامتحانات العامة للدراسة المتوسطة وثم الإعدادية (٤)، وكانت (ماجدة الحيدري) أول امرأة عراقية تمزق الحجاب في سنة (١٩٣٣)، بينما دخلت (صبيحة الشيخ داود) كلية الحقوق سنة (١٩٣٤)(٥).

ومع تحسن الواقع التجاري نمت الصناعة الوطنية التي تركت بصمتها على بنية المجتمع وتكوينه، إذ حققت (تبدلات جوهرية في تركيب المجتمع العراقي، فكان أن تكونت شيئاً فشيئاً نواة الطبقة العمالية وأسست النقابات وتشكلت الجمعيات والأحزاب ذات الاتجاه العمالي الاشتراكي وفي ظل التنمية الصناعية تطورت حياة المرأة العراقية تطوراً كبيراً فأصبحت الجمعيات النسوية أكثر مضاء) (٦).

وقفز عدد الطالبات الجامعيات من إحدى ومئتين طالبة (٢٠١) في العام الدراسي (١٩٤٦/١٩٤٥) إلى سبعة آلاف وتسع وأربعين (٧٠٤٩) طالبة في العام (١٩٦٦/١٩٦٥)، وقد تظافرت عوامل متنوعة على تهيئة الأرضية الصحية لتحسين واقعها إبان الخمسينيات وصولاً إلى نهاية السبعينيات وساعدت بمجملها على تعزيز موقعها اجتماعياً وثقافياً على الرغم من وجود المعوقات العامة: الأمية، الفقر، الاضطراب السياسي، التركة الثقيلة من العادات البالية، ولعل من أبرز تلك العوامل: تيسر وسائل الاعلام المختلفة وأثر برامجها الثقافية في الإرتقاء بالأذواق والعقول، ولا أدل على حيوية المجتمع العراقي من أنه من أوائل الدول العربية السباقة إلى تأسيس البث الإذاعي والتلفازي، وانتشار المكتبات العامة في انحاء مختلفة من القطر وتمتع المرأة بكامل حقوقها في المطالعة وارتياد المكتبات، ويذكر احد الباحثين الملحوظة الطريفة الآتية:

(صرح لي مدير المكتبة الوطنية في بغداد بتاريخ نيسان سنة ١٩٦٦ إن عدد مرتادي المكتبة الوطنية خلال شهر آذار من رجال ونساء كان (٢٣١٧) شخصاً بضمنهم (١٣٤٠) مطالعة من النساء، وهذا فيه الدلالة على اقبال المرأة العراقية على المكتبات بنسبة تزيد على الرجال).

وحرية السفر التي كفلت لها خبرة حياتية وثقافية مضافة بتأثير الاختلاط والإطلاع، ومن المؤسف أنها فقدت في الثمانينيات وما بعدها هذا الحق بسبب ما عرف بالمصاحبة مع المحرم.

ومن العوامل الأخرى المهمة نشاط الترجمة وغزارة ما ترجم إلى العربية مما جعل موارد ثقافية متنوعة بين يديها ثم أخيراً تمتعها بحقوقها المدنية كاملة بعد تشريع قانون الأحوال المدنية الجديد في نهاية الخمسينيات(٧).

لقد أثمرت هذه الحركة المتزايدة إنجازات مهمة، منها . على سبيل المثال . ظهور الصحف المتخصصة بشؤون المرأة . أياً كان تقييمنا لأدائها . ففي الفترة الممتدة ما بين (١٩٣٦) إلى (١٩٦٠) ظهرت باقة من الصحف المهمة منها: (المرأة الحديثة لحمدية الأعرجي، و(فتاة العرب) لمريم نرمة، و(تحرير المرأة) لجمعية الرابطة النسائية، و(صوت المرأة) لجمعية تحرير المرأة و(الرحاب) لأقدس عبد الحميد، و(الأم والطفل) لجمعية حماية الأطفال، و(بنت الرشيد) لدرة عبد الوهاب و (الاتحاد النسائي) لآسيا توفيق وهب، و(١٤ تموز) لنعيمة الوكيل، و (المرأة) لنزيهة الدليمي و(جنة الأطفال) لسلمى الشيخ محمد النائب (٨) بينما انحسرت في السبعينيات وما بعدها انحساراً شبه كامل مثل هذه الصحف متعددة الرؤى والاتجاهات وآلت إلى مجلة واحدة ناطقة بلسان (الاتحاد العام لنساء العراق) لأسباب معروفة ومشخصة جيدا تحت وطأة القسرية والأحادية التي خنقت منافذ الحياة وما ألم بالمجمع من نكبات الحروب والتصفيات الجسدية وتكبيل الحريات الفكرية والسياسية وتدمير قيم الطبقة الوسطى وإحلال القيم العشائرية والروعية والبوليسية محلها، وقد انبثق من هذا الجو المحترم نوع من الصراع المرير والخفي بين ارادتين:

١. إرادة البطش الساحقة التي سعت بما أوتيت من ثروات وسلطة إعلامية إلى شل الروح الوثابة في شخصية المرأة العراقية وتعطيل خطاها النهوضية ووأد المظاهر والقيم الحضارية في حياتها وتغليب النماذج المنحدرة من أصول أمية أو شعبية أو ريفية مجردة من التوجه المعرفي والثقافي . هذا الإحساس العميق والمركب بالنقص الذي تضخم لدى كثير من عناصر السلطة بمن فيهم نساؤهم وجعلهم يغدقون على بعضهم الشهادات الورقية الوهمية والألقاب الأكاديمية الفخرية، ولا داعي لذكر الأمثلة فهي أكثر من أن تحصى وما زالت الذاكرة طرية لم تندثر بعد.

لا بل جرى تحت تأثير هذا الخطاب اختزال وجود المرأة العراقية بطريقة مشينة منافية للقيم الأخلاقية والدينية التي كانت يتم ادعاؤها بطريقة جوفاء، فعجت قصورهم المخظيات وجواري القرن العشرين، وتم . للأسف . تصدير الكثير من نماذجهن إلى المؤسسات الثقافية والتربوية تحت تسميات كثيرة فكانت لهن صولات وجولات.

وأنا أرصد هنا اتجاها عاماً غالباً دون إغفال الحالات الخارجة على هذا الوصف.

٢. وإرادة أخرى على الطرف الثاني من الصراع تمثلها المرأة المثقفة والناضجة الواعية المتطلعة إلى مواكبة مستجدات الحياة، والمستندة إلى أرضية صلبة من الانتماء الوطني والقومي والإنساني، ومن الموضوعي القول إن صاحبات هذا التوجه عانين الويلات ومنين بخسارات كبيرة في ظل هذا الصراع المرير نفسياً واقتصادياً واجتماعياً، لأنه لم يكن صراعاً متكافئاً بين ثقل السلطة وتبعية المجتمع لها وبين تلك الجهود الفردية الباسلة.

لقد زج . بسبب الخلل البنيوي الذي أحدثته الحروب في المجتمع . باعداد كبيرة من النساء في مؤسسات الدولة إملاء للشواغر، وجندت النساء في المطحنة وأثقلت حياتهن بأعباء أسرية واقتصادية كبيرة سرقت أعمارهن وحرمتهن من فرص التطلع إلى تحقيق مطامحهن ومشاريعهن الخاصة، وإن هذا السوق . إذا صحت استعارة هذا المصطلح العسكري البغيض . كرس في الحقيقة حضورها الكمي وليس النوعي الفاعل لا بل رهل هذا الحضور بدليل الكثير من الظواهر السلبية التي طفت على السطح مثل: انخفاض مستويات الأداء والكفاءة بسبب كثرة الانقطاعات والاجازات، وعدم التحرج من استكمال بعض الاعمال البيتية في أماكن العمل مثل: تحضير الاطعمة والحياكة والتطريز.. الخ وتفصيلات أخرى تبدو لبعضهم تافهة وصغيرة بل صارت مألوفة بحكم الاعتياد، ولكنها عظيمة الدلالة على طبيعة الخواء والتدني اللذين انتهى إليهما كثير من النساء وعياً وسلوكاً، وبلغ الأمر ذروته في التسعينيات تلك الحقبة الكارثية بما شهدته من عكوف اعداد كبيرة من الفتيات في بيوتهن واستقالة الكثير من العاملات والموظفات، وعزوف الخريجات الجديدات عن ممارسة اختصاصاتهن، وهي ظروف وبيئات مواتية لرواج المفاهيم الظلامية البالية التي تعد المرأة عورة والزواج المبكر ستراً لها، وتحرم العمل عليها وتراه سبة وعاراً، والإيمان بالخرافات والدجل، وليس قليلاً في منطق الاستدلال ان اعداداً كبيرة من زبونات قارئات الفناجين والكفوف والمرايا والرمل هن من الطالبات الجامعيات أو الموظفات أي من يفترض انهن من المحسوبات على الوسط المثقف، إلى غير ذلك من المظاهر التي تعكس بوضوح تام حجم الهدر ومدى النكوص والتخلف الذي لحق بالمسيرة التقدمية للمرأة العراقية.

ان النشء الجديد قاعدة المجتمع والمستقبل بحاجة اليوم، إذا صحت النيات والجهود، إلى أشواط جديدة لاستئناف التعليم والتثقيف الحقيقي حياتياً ومعرفياً لإعادة غرس المبادئ الأخلاقية الرصينة والقيم الحضارية التنويرية في انساننا، وهي مهمة ثقيلة وليست باليسيرة ومن المتوقع الا تؤتي ثمارها في المدى القريب.

الهوامش والمراجع

١. تنظر: المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ,١٩٩٩

٢. نازك الملائكة، النظرية والشعر، عبد الجبار داود البصري، دار الحرية للطباعة، بغداد. ١٩٧١: ١٦. ,١٧

٣. مجلة (الأديبة)، كلية البنات . جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٦٦: ,٧٣

٤. نازك الملائكة: ١٨، ,١٩

(٥) (٦) م.ن: ١٩، ,٢٠

٧. ينظر: المرأة العراقية المعاصرة: ١/ ٥٢، ٥٣، ,٥٤

(٨) نازك الملائكة: ,٢٠